دروس المنشفة
(يوحنا ١٣: ١-١٧)

تأليف: دڤيد روپر

على طول خدمته التبشيرية، كان يسوع يدرك تماماً التوقيت السماوي. عندما سألته امه ليجري آية، قال: "... لم تأت ساعتي بعد" (يوحنا ٢: ٤). ذكر عدة مرات خلال خدمته التبشيرية بان اعدائه لم يستطيعوا ان يمسكوه "لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد" (يوحنا ٧: ٣٠؛ ٨: ٢٠). وعندما نأتي إلى الأيام الأخيرة لأعماله التبشيرية، نجد التأكيد مراراً وتكراراً بان الساعة قد جاءت:

> وأما يسوع فاجاب قائلاً: "قد اتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان" (يوحنا ١٢: ٢٣).
>
> اما يسوع، قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب... (يوحنا ١٣: ١).
>
> تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الأب قد أتت الساعة... (يوحنا ١٧: ١).

اخذنا درسنا الحالي من انجيل يوحنا الأصحاح ١٣. كان يسوع يعلم يقيناً ان ظل الصليب يقترب رويداً رويداً. تبقى له اقل من خمس عشرة ساعة "في حياته". وقبل ان تأتي تلك "الساعة" كان ليسوع الكثير ان يقوله لتلاميذه، قد انهى خطاباته العامة. ولكن اراد يسوع ان يجتمع مع تلاميذه في صحبة {الغرفة} العليا ليناقش حقائق هامة معهم. ورد متى ومرقس ولوقا البشيرون تفاصيل عن تلك اللحظات: الإعداد للعشاءالأخير والتنبؤ بخيانة يهوذا ليسوع وإنشاء العشاء الرباني. عندما كتب يوحنا البشير فيمابعد لم يكرر هذه المعلومات المبلغ عنها. (لا شك بان هذه الحادثة قد تم تمثيلها بتكرارها كلما اجتمع الإخوة لتناول العشاء الرباني.) وإنما كتب يوحنا البشير حديث يسوع الوداعي لتلاميذه (الأصحاح ١٣-١٦)، يتبعه صلاة يسوع المؤثرة من اجل تلاميذه (الاصحاح ١٧).

كما تفتح هذه الصفحة، لم يكن تلاميذ يسوع في حالة ذهنية قابلة لإستقبال كلمات يسوع اليقظة. يبدأ الأصحاح ١٣ بيسوع يغسل اقدام تلاميذه كما كان يلقنهم "دروس المنشفة" يحتاج التلاميذ لهذه الدروس ليعدوا انفسهم للإمتحان الذي سيعطيهم إياه يسوع. نريد نحن ايضاً هذه الدروس لنعد انفسنا لما يمتحننا به يسوع اليوم.

درس التواضع
(يوحنا ١٣: ١-٥)

يسوع يأخذ منشفة

يركز الأصحاح ١٣ وإلى الأصحاح ١٦ من انجيل يوحنا على جوهر المحبة. تم ذكر المحبة واحد وثلاثين مرة في هذه الأصحاحات. يوحنا ١٣: ١ يعمل كمقدمة لكل لهذه الأصحاحات كما هي مقدمة لقصة يسوع يغسل اقدام تلاميذه:

> اما يسوع قبل عيد الفصح {مات يسوع خلال هذا العيد} وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد

احب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى. (التشديد لي.)

إذا كنت تحب كما كان يعلمنا يسوع ان نحب، ستفعل اشياء لا يمكن لاحد ان يعوضك عنها.

تذكر الآية ٢ بانه اثناء هذه العشاء "ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه." لماذا اعطي بهذه التفاصيل في هذه النقطة الإنشائية؟ بعد لحظات قليلة سيغسل يسوع ارجل كل التلاميذ – بما فيها قدمي يهوذا. عندما نرى يسوع يغسل رجلي يهوذا، تذكر بانه فعل هذا مع علمه الكامل لكل ما خطط يهوذا ليفعله!

اكثرنا يقفون بهيبة،

وبأيادي منطوية، بينما

ينبغي ان نجثوا على ركبتينا

للخدمة – ولغسل الأقدام.

تذكر الآية ٣ بان يسوع فعل هذه الاشياء "وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء في يديه، وانه من عند الله خرج وإلى الله يمضي." استطاع يسوع ان يكون خادماً لأنه كان يعلم من اين اتى ومن هو وإلى اين يمضي. في افلام بريجن –فولكنر (Breechen-Faulkner) لتحسين الزواج، وضع التشديد بان الرجل الواثق في نفسه يعلم من هو، يمكن ان يأخذ القمامة إلى الخارج. من ناحية اخرى، فان الذين غير واثقون في انفسهم يظنون بانهم سيقللون من شخصيتهم بهذ العمل الحقير. علم يسوع من هو، لذا استطاع ان يكون خادماً.

"يسوع ... قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتزر بها" (آيتي ٣ و٤). لم يجلس يسوع وتلاميذه كاصحاب عز، في العشاء الاخير لم يجلسوا على كراسي مزينة بالفرو حول طاولة طويلة. بينما اتكأوا على جوانبهم اليسرى على سجادة رقيقة او بطانية صغيرة مسندين على اكواعهم اليسرى، ويأكلوا بأيديهم اليمنى. يكسرون الخبز ويغطسونه في الأواني التي امامهم ثم يغمسونها. كلما اتخيل هذه الصورة في ذهني، ارى يسوع و الاثني عشر متكئون على التوالي حول طاولة قصيرة، ومتقاربي البعض، بقدمي كل فرد غير متباعدة عن وجه الذي بجواره! انه من تلك الجلسة قام يسوع ليغسل اقدام تلاميذه.

كان غسل الأقدام جزء مهم في تلك المجتمع في ذلك اليوم. عندما يدعى احد للعشاء، كان يستحم عادة، ويذهب إلى العشاء نظيف الجسم من الرأس إلى اصابع القدم. ولكن كانت شوارع فلسطين متسخة، مليئة بالنفايات (اعلم بان البهائم ايضاً يستخدمون الشوارع نفسها). تكون الشوارع طيناً اذا ما امطرت. مادام الجميع يرتدون نعال، فعندما يصل الضيف إلى بيت صاحب الضيافة، يظل نظيفاً من الرأس إلى اسفل ركبتيه، ولكن قدميه وكاحليه تكون عادة متسخة. يضع المضيف الكريم إناء ماء كبيرة عند مدخل بيته؛ يوضع معها جرة ووعاء كبيرة {مغسلة} ومناشف. وعندما يدخل احد إلى البيت يخلع نعليه، ويغسل شخص آخر قدميه. كان هذا يفعله العبد عادة، إذ يعتبر اكثر عمل مهيناً لمن يقوم به. كان هذا خسيساً بحيث لايمكن اجبار عبد يهودي لغسل اقدام الضيوف؛ تصدر الأوامر فقط للعبيد الذين من الامم ليفعلوا هذا. إن لم يوجد عبد لغسل اقدام الضيوف، فالمضيف الكريم يفعل ذلك بنفسه. إن لم يكن هناك مضيف (كما هو الحال في العلية التي اجتمع فيها يسوع مع تلاميذه)، فيغسل الضيوف اقدام بعضهم البعض. لقد كان شيء غريب ان يتكأ احد ليأكل بقدمين متسختين.

إذاً، لماذا كان التلاميذ حول المائدة بأقدام غير مغسولة؟ يخبرنا لوقا البشير بان عندما كانوا يتناولون الطعام "كانت بينهم ايضاً مشاجرة من منهم يظن انه يكون اكبر" (لوقا ٢٢: ٢٤). ألا تسمعهم؟ قال اندراوس: "انا هو اول من دعي!" وقال يوحنا: "انا المفضل!" وقال يهوذا الإسخريوطي: "انا هو امين الخزانة!"

وقال بطرس: "مفاتيح الملكوت اعطيت إليّ!" كانت الغرفة مليئة بقلوب متكبرة واقدام متسخة. شاءوا ان يصارعوا من اجل المكانة وليس المنشفة. هكذا اتكأوا هناك بوجه كل فرد مقابل قدمين وسخة لشخص آخر!

هذه هي الخلفية لهذه الكلمات: "يسوع ... قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزرر بها" (آيتي ٣ و٤). وقف يسوع وخلع جلبابه الخارجي، كما نخلع نحن معطفنا ونلف اكمامنا لنستعد للعمل. ثم اخذ منشفة ولفها على وسطه. كانت هذه المنشفة طويلة بحيث يمكن لفها حول الخصر بطرف متدلي إلى أسفل لمسح القدمين بعد ان يتم غسلهما.

"ثم صب ماء في مغسلة وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها" (آية ٥). تخيل يسوع وهو ينحني ويبدأ يغسل اقدام التلاميذ. تتوقف المناقشة حول من هو الأعظم؛ وتسكت كل الأصوات إلا التي يصدرها يسوع هو يغسل الأقدام: صوت ماء يصب، ورش الماء على الأقدام، وصوت المنشفة الخشنة وصوت الماء القذر يطرح إلى الخارج وماء نظيفة يصب في المغسلة وانفاس يسوع. اتخيل التلاميذ ينظرون إلى بعضهم البعض في ارتباك، ثم ينظرون إلى الأسفل في خجل.

لما سار يسوع على صف التلاميذ وهو يغسل كل الأرجل على التوالي، كان يعلم تلاميذه بهذا ان يكونوا خدام. كان يقول: "إن كنت تلميذي، فالا بد ان تشاء التواضع بنفسك!"

لم يطلب يسوع من تلاميذه شيئاً لم يشاء هو ان يفعله. عندما جاء يسوع من السماء، "... أخلى آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس. وإذ وجد في هيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع..." (فيلبي ٢: ٧ و٨). محدثاً عن رسالته قال يسوع: "كما ان إبن الإنسان لم يأتي ليُخدَم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (متى ٢٠: ٢٨). وعندما جادل التلاميذ عن من يكون الأعظم، قال: "... أنا بينكم كالذي يَخدِم" (لوقا ٢٢: ٢٧).

يجب علينا ايضاً ان "نأخذ المنشفة"

اليوم نتمم مفهوم التواضع بالشفاه؛ نعلم بان الكتاب المقدس يعلمنا ان نكون متواضعين. ولكن، الحقيقة هي ان التواضع ليست الفضيلة التي يعجب بها معظمنا ولا نرغب فيها. الكلمتين "تواضع" و "إذلال" أتيا من اصل واحد. ربما قد سمعت احد ما يقول: "لم اذل في حياتي قط كهذا!" لا يريد احد ان يذل او يفضح او يحرج؛ ولكن افهم هذا: كان غسل الأرجل خبرة مذلة! قد تكون خدمة آخرين تواضع وإذلال.

لا يمانع معظمنا ان يسمى "خادم". نكون سعداء إذا كنا معروفين كـ "خدام الرب العظماء." وما نخشاه هو ان يعاملونا كخدام. في زمان العهد الجديد، كان يحتقر ويسيء معاملة الخدام؛ ولم يقدروا. بعد ان ينتهي عبد من مهمة، كم مرة تظن بان سيده سيثني؟ علية " شكراً، يا عبد! قد عملت عملاً عظيماً، واني اقدر هذا حقاً! ان يعلم الإجابة: {لا يشكره سيده} أبداً.

هل نرغب ان نكون خدام؟ هل نرغب ان نتواضع ونخدم آخرين؟ هل نرغب ان نقوم بعمل دنيء لا يرغب احد ان يقوم به؟ هل نرغب ان نخدم حتى ولو لا يشجعنا احد، وحتى إن لم يقوم الآخرين بما عليهم؟ هل نرغب ان نخدم ليس بسبب تقدير الآخرين، بل لأنه الشيء الصحيح الذي يجب ان يقام به؟

هذا النوع من الخدمة ثقيل. قال احد بان التواضع هو اصعب درس في المنهج المسيحي. ومع ذلك اراد يسوع لنا ان نتعلم درس التواضع. عندما استنكر يسوع كبرياء الفريسيين، قال: "وأكبركم يكون خادماً لكم. فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع" (متى ٢٣: ١١ و١٢). يطلب العالم مجداً؛ لكن اتباع المسيح يطلبون فرص لكي يخدموا.

درس القداسة
(يوحنا ١٣: ٦-١١)

نحتاج إلى تطهير روحي

كما كان يسوع يستمر في غسل ارجل التلاميذ، وصل إلى قدمين اكبر حجماً "فجاء

إلى سمعان بطرس فقال له ذلك يا سيد انت تغسل رجلي؟" (آية ٦).لم يفهم بطرس لماذا يقوم يسوع بعمل مذل الذي للعبد.

"اجاب يسوع وقال له: 'لست تعلم انت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد'" (آية ٧). كان يسوع يعني بهذا "بعد موتي وقيامتي وصعودي إلى السماء وبعد حلول الروح القدس، ستفهم."

ولكن في تلك الوقت لم يفهم بطرس. فقال ليسوع "لن تغسل رجلي أبداً ..." (آية ٨). هذه جملة منفية بكلمتي "لن... أبداً" وهذه في لغة الأصل تضع التشديد على السلبية. اي بان بطرس قال حرفياً: "أبداً، ابداً، لن تغسل رجلي ابداً!"

"أجابه يسوع: 'إن كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب'" (الآية ٨). إن لم يكن بطرس قد اخضع ليسوع في هذه المسألة لكان لهما صحبة فيما بعد.

لم يفعل بطرس ابداً شيئاً بالأنصاف. "قال له سمعان بطرس: 'يا سيد ليس رجليّ فقط بل أيضاً يديّ ورأسي'" (آية ٩). اي بعبارة اخرى: "حسناً، يا سيد، فإغتسلني بالكامل! إن كان هذا ما يتطلب لكي يكون لي معك صحبة، فإغتسلني إذاً من الرأس إلى القدمين!"

أجاب يسوع: "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله ..." (آية ١٠). كما ذكر سابقاً، كان الضيوف عادة يغتسلون قبل الذهاب إلى العشاء. لهذا كانوا يحتاجون فقط إلى غسل اقدامهم لكي يكونوا طاهرين بالكامل. الجزء الذي يحتاج بطرس غسله هي قدميه فقط.

ثم أضاف يسوع هذه العبارة اللغزية "وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم" (الآية ١٠). وهنا تحول يسوع من توجيه حديثه إلى بطرس وبدأ يكلم كل التلاميذ؛ إذ قال: "وأنتم طاهرون،" ربما اشار بيده إلى اجسامهم؛ ومن ثم تحول إلى تشديد روحي واضاف بشيء من حزن في صوته: "ولكن ليس كلكم." لا يجب علينا ان نخمن في ما يعنيه يسوع لأن الآية التالية تشرح ذلك: "لأنه عرف مسلمه؛ لذلك قال 'لستم كلكم طاهرين'" (آية ١١). يشير يسوع بقوله: "ليس كلكم طاهرين" إلى يهوذا الإسخريوطي. ربما كان هذا آخر محاولة ليسوع ليرشد يهوذا إلى التوبة.

ولكن، الحقيقة التي اود ان اشدد عليها هي عندما غسل يسوع اقدام التلاميذ، لم يكن هو مهتم بالتطهير الجسدي اكثر منه عن التطهير الروحي. إن احتفظنا بهذا في ذاكرتنا، فان عبارة يسوع في الآية ٨ تكون ذات معنى اعمق: "إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب." هذه العبارة يطبق علينا روحياً ايضاً. إن لا نغتسل – في دم المسيح يسوع، فلا يكون لنا معه نصيب! يقول سفر الرؤيا ١: ٥ "ومن يسوع المسيح ... الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه."

كخطاة وغرباء، علينا ان نعتمد في يسوع المسيح لكي يغسلنا بدمه. قال حنانيا لشاول: "قم وأعتمد وأغسل خطاياك داعياً باسم الرب" (أعمال ٢٢: ١٦). وبعد ان نغتسل روحياً "من الرأس إلى القدم"، نعيش يومياً من خلال شراسة الحياة ومتاعبه. كمسيحيين نحن نحتاج إلى تطهر دائم من يدي يسوع.

> إن اعترفنا اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم. إن قلنا إننا لم نخطيء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا.
> يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ احد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار (رسالة يوحنا الأولى ١: ٩-٢: ١).

لابد ان نتعلم الخضوع

يكننا ان نتحدث عن مجالات كثيرة للسماح ليسوع بتظيف نفوسنا. ولكن على حسب مفهوم النص، كان في ذهن يسوع شيء معين كما كان يتكلم عن غسل {قدمي} بطرس. كان ذلك "الشيء المعين" هو الخضوع. إذا كان لبطرس ان يكون نظيفاً، فلابد له ان يخضع لإرادة الرب – وإن لم يرغب فيها و إن لم يوافق عليها وحتى إن لم يفهمها.

صارع بطرس بكبريائه، كما يفعل معظمنا. وقال يسوع بان بطرس سيفهم فيما بعد. من

الواضح ان بطرس قد فهم اخيراً دروس المنشفة، لأنه كتب فيما بعد ما يلي:

> كذلك أيها الأحداث اخضعوا للشيوخ وكونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة.
> فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه (رسالة بطرس الأولى ٥: ٥ و٦).

إن كنا نغتسل دائما في دم يسوع المسيح، لابد أن نعيش حياة خاضعة: "ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور {إن كنا نعيش كما اراد يسوع لنا ان نعيش}، فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا {على الدوام} من كل خطية".

درس عن السعادة (يوحنا ١٣: ١٢-١٧)

لابد ان نتعلم "غسل الأقدام"

قد تم غسل آخر قدم، ونشف آخراصبع قدم. بعد هذا كان يسوع مستعداً لشرح ما فعله وتطبيقه على تلاميذه. " فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه وأتكأ أيضاً قال لهم ..." (آية ١٢). تخلى يسوع عن المغسلة والإبريق،ثم لبس رداءه مرة اخرى. استقرت كل الأنظار على يسوع؛ فقد جذب إليه كل إنتباه التلاميذ.

بعد ان عاد إلى مكانه عند المائدة، سألهم قائلاً: "أتفهمون ما قد صنعت بكم؟" (آية ١٢). لعلهم قد اجابوا: "ما أغرب هذا السؤال! بكل تأكيد نعلم ما صنعته بنا. انك غسلت ارجلنا" ولكن كان يسوع يقصد: "أتعلمون حقاً ما صنعته؟ أتفهمون ما صنعته ولماذا صنعته؟"

ثم بدأ يسوع بتطبيق الدرس: "أنتم تدعونني معلماً وسيداً؛ وحسناً تقولون لأني انا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم ..." (آيتي ١٣ و١٤) كانوا يتوقعون بانه سينهي الجملة بـ: "فأنتم يجب عليكم أيضاً ان تغسلوا رجليّ" كان هذا سيكون عادلاً. قد غسل هو ٢٤ رجل وسخة و ١٢٠ اصبع رجل قذرة، ورجليه لم تزال وسخة. يكون عادلاً فقط إذا ما غسلوا رجليه الآن. (لا مانع لمعظمنا ان يغسلوا رجلي يسوع؛ ربما نقف في صف لذلك.) ولكن بدلاً من ذلك قال يسوع: "... فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت انا بكم تصنعون أنتم ايضاً" (آيتي ١٤ و١٥).

هل يريد منا يسوع ان نغسل ارجل؟ ربما لا يكون هذا مكروه جداً. يمكننا ان نختار قليل من اصدقائنا، ونغسل ارجلهم. انتظر لحظة! قال يسوع: "كما صنعت أنا بكم تصنعون انتم أيضاً." كان يهوذا الإسخريوطي متواجداً مع بقية التلاميذ. ماذا تظن بيسوع يغسل رجلي يهوذا ؟ تذكر بان يسوع كان يعلم بخيانة يهوذا له. لو كنت في مكان يسوع لكنت قد جربت لاستخدم ماء ساخن ومغلي او ماء بارداً مليء بالثلج! وعندما انشف رجلي يهوذا، لكنت احاول ان اسلخ جلده! ولكن يبدو كان ليسوع الاهتمام والعناية نفسها برجلي يهوذا كما عمل هو بارجل التلاميذ الآخرين. مثال يسوع لي هو ان اكون مستعد لكي "اغسل أرجل" الجميع، صديقاً كان ام عدواً.

واصل يسوع قوله: "الحق الحق اقول لكم إنه ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله" (آية ١٦). تركنا يسوع من غير معذرة. إذا امكنه ان يغسل ارجل الجميع، اصحاب مثلهم مثل أعداء، فيمكننا ايضاً.

ربما يجب ان نقف لنسأل: "ماذا عنى يسوع عندما قال بانه يجب علينا ان نغسل بعضنا أرجل بعض؟" هل عنى بهذا ان يكون لنا مراسم غسل الأرجل كجزء من خدمات العبادة؟ تفعل هذا بعض من الطوائف الدينية. عندما يتناولون العشاء الرباني (نصف شهري اوسنوياً اواي وقت)، يقومون بمراسيم غسل الأرجل. والذين تم اختيارهم للمشاركة يأتون بأقدام نظيفة في احذية لامعة، ومرتدين جوارب بلا ثقوب فيها. وفي اثناء المراسم يبدأ القائمون بالغسيل على الوقوف في صف ليغسلوا ارجل كانت نظيفة تماماً. قد فقد الغرض الأصلي – وهو غسل ارجل متسخة.

أهذا كان ما يأمر به يسوع؟ افحص بقية العهد الجديد. افحص رسائل المسيحيين الأوائل. لم يحتفل بتلك النوع من المراسم ابداً في خدمة العبادة في الكنيسة الأولى. المرة الوحيدة في الرسائل التي ذكر فيها غسل الأرجل هي في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٥: ٩ و١٠)، عندما اعطى بولس الرسول بمؤهلات الأرملة التي تستحق المساعدة من قبل الكنيسة:

> لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها اقل من ستين سنة إمرأة رجل واحد. مشهوداً لها في اعمال صالحة؛ إن تكن قد ربت الأولاد اضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين ساعدت المتضايقين اتبعت كل عمل صالح.

اعطيّ ببضع مؤهلات. إن كان لنا مراسيم الصلاة ذو صلة مع واحد، فيجب ان نقوم بمراسيم صلاة ذو صلة مع الكل. كلا، ليس هذا ما يقصده يسوع.

إن كان يسوع لم يشير إلى مراسم خاصة، فماذا عنى عندما قال ان نغسل بعضنا ارجل بعض؟ صدق المبشر والكاتب شارلس هودْج عندما قال "قد نفوزوا بالجدال عن غسل الأرجل – ولكننا لا نتعلم بعد ان نغسل الأرجل!" كان غسل الأرجل عمل دنيء للعبد في زمان العهد الجديد. ما تعادل هذا العمل في القرن العشرين هي الإرادة لخدمة الآخرين – بغض النظر عن من يكونوا، بغض النظر عن ما يكلف، وبغض النظر عن صوبة القيام بها.

كتبت روث كالكين قصيدة بعنوان "اني اتعجب"، التي فيها سألت سؤال ينبغي على كل منا ان يسأله:

> تعلم يا رب كيف اخدمك
> بوهج عاطفي عظيم
> في بريق الشهرة.
> تعلم كيف بحماس اتكلم عنك
> في نادي النساء.
> تعلم كيف انفعل عندما اكوِّن
> جمعية الصداقة.
> تعلم حماستي الصادقة
> عند دراسة الكتاب المقدس.
> ولكن كيف استجيب، اتعجب،
> إن اشرت إلى مغسلة ماء
> وطلبت مني ان اغسل رجلين متصلبتين
> لإمرأة عجوزة منحنية ومتجعدة
> يوماً بعد يوم
> شهراً بعد شهر
> في غرفة لم يراها احد
> ولم يعلم احد؟

هل تعلمنا ان نخدم؟ هل تعلمنا ان نقوم بواجبات الرجال واعمال خشنة وان نقبل واجبات قذرة ونقوم بمسؤليات غير مرغوبة فيها – عادة للذين لا يقولوا "شكراً" او ربما يحاولون الإساءة إلينا؟ بعد ان غسل يسوع رجلي يهوذا الإسخريوطي، مضى يهوذا من الغرفة العلية وخانه. ومع ذلك قال يسوع لكل واحد منا "اغسلوا بعضكم ارجل بعض!"

يسأل العالم: "كم من الناس يعملون لك؟" ويسأل الرب: "كم من الناس تعمل انت لهم؟" يقف اكثرنا بوقار ومكتوفي الأيدي، بينما ينبغي ان نكون راكعين في خدمة غسل الأرجل.

"غسل الأرجل" هي مفتاح السعادة

يريد الشكوكي ان يعلم: "ما الذي لي فيها؟" تقول الآية ١٧ ما سيفعله لنا تعليم الخدمة. قال يسوع لتلاميذه: "إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه". وفي الآية ١٢ سأل يسوع: "أتفهمون ما قد صنعت بكم؟" ظن بانهم فهموا، وعلى اثر ذلك قال: "فطوباكم إن صار فهمكم إلى فعل." انه لا يكفى ان ندري فقط بانه ينبغي علينا ان نخدم آخرين. فإن كان لله ان يباركنا فعلينا ان نفعله.

الكلمة التي اريد ان اضع عليها التشديد في هذه الآية هي كلمة "طوبى" هذه هي الكلمة نفسها التي استخدمت في التطويبات في الموعظة على الجبل (متى ٥: ٣ الخ). تشير الكلمة في اللغة اليونانية إلى سعادة داخلية، سرور وسلام لا تحكم عليها الظروف الخارجية. السر في السعادة العميقة الراسخة هو ان نتعلم ان نخدم.

الناس الأكثر تعاسة هم الذين يريدون ان يخدموهم. يظنون بانهم لم يعاملوا بالعدل،

وبانهم لم يحصلوا على ما يستحقوا، وبانهم لم يملكوا ما يريدوا. انهم ينتظرون ويتوقعون ان يعطهم شخص آخر بتلك، وهم تعساء! الذين هم سعداء دائماً هم الذين لا يهتمون ما إذا كانوا سعداء ام لا، بينما يهتمون بسعادة وخير الآخرين. هذه هي واحدة من اهم دروس المنشفة.

الخلاصة

قد يذكر بعض دروس اخرى للمنشفة، ولكن بكل تأكيد ما من احدهم اكثر اهمية من هذا: درس التواضع والقداسة والسعادة.

ينبغي على كل منا ان يسأل سؤال فعالاً عن حياة الخدمة: هل انا اخدم الرب؟ هل اتحسن كخادم يوماً بعد يوم؟

علينا ايضاً ان نسأل بعض اسئلة شخصية تختص بالخضوع: عندما يأمر الرب، هل نطيع سريعاً – او من المحتمل ان نكون مثل بطرس ونقول "ابداً يا رب، ابداً!" يجب علينا ان نتعلم استجابة بطرس الثانية: "يا رب افعل بي ما شئت اغسلني من الرأس إلى الرجلين!" ليساعدنا الله لكي نتعلم دروس المنشفة.

خطية أبدية

عند الاشارة الى التجديف على الروح القدس، أسماه المسيح "خطية أبدية"، يجعلها بغير مغفرة. لم تكن هي الخطية الوحيدة التي يمكن ان تهلك الفريسيين، و لكن هذه هي التي أهلكتهم. لقد تفاقم شرهم عندما قاموا بلعن المسيح، رغم انهم يعلمون انه صالح. فقد عكسوا ما كان يعلمونه، قالوا ان كان به روح نجس. بدلوا الحقيقة بالباطل و النور بالظلام و الصلاح بالشرير وأ غمضوا عيونهم و قلوبهم عن الرب. كان تجديفهم من النوع الذي يبدد الرجاء بالسماء. و هناك احتمال كبير بان هذا النوع من العمى و المعارضة الغير منطقية للرب اليوم ستكون لها العواقب نفسها...

سبعةانواع من الخطايا ضد الروح القدس يمكن ان نتعلمها من هذه المراجع: (١) الشهوة (غل ٥: ١٦)؛ (٢) المقاومة (أعمال ٧: ٥١)؛ (٣) الحزن (أفسس ٤: ٣٠)؛ (٤) الكذب (أعمال ٥: ٣)؛ (٥) التحقير (عب ١٠: ٢٤)؛ (٦) التجديف (مرقس ٣: ٢٩)؛ (٧) الاطفاء (تسالونيكي ٥: ١٩). انه مضمون في طبيعة الخطايا كلها بان كل خطية عمد ارتكابها قد ينتج عنه اطفاء النار المقدس في النفس و ينتج اخيرا موت أبدي.

تفسير في إنجيل متى
بارتون كوفمان

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧